(4) عمار بن ياسر - رضي الله عنهما -

بشره الرسول ﷺ بالجنة، وبشر أباه وأمه ، وأمرهم بالصبر والثبات على الحق، وقال لهم : « صبراً آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة» فالجنة تشتاق لمثل هؤلاء أكثر مما يشتاقون هم إليها . . إنهم آل ياسر ، الأب ياسر بن عامر والأم سمية بنت خياط ، وثمرة زواجهما هذا الشاب الذي رزقهما الله إياه فَسَمَّوْه عماراً . فمن هو عمار ، ومن هذه الأسرة ، ومن أين أتت ،وأي عذاب لاقوه ، وكيف كانت حياة عمار ، وما هي فضائله ، وجهاده ، وصبره ، وشجاعته .

***

لم يكن ياسر بن عامر مكياً بل أتى إليها مع أخويه الحارث ومالك في طلب أخ رابع لهم فلم يجدوه ، فعاد الأخوان إلى اليمن من حيث أتيا ، أما ياسر فقد شدته مكة إليها ، فبقي فيها ، واستوطنها ، ولّما لم يكن له من قبيلة تحميه وتمنعه ، وتمنع عنه عدوان الظالمين طبقاً لقوانين ! لجاهلية التي يأكل فيها القوي الضعيف ، لذا فقد حالف أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي ، ليجد عنده الحماية وليدفع عنه شرور الظالمين وقد زوجه أبو حذيفة أمة له تسمي « سمية بنت خياط » فرزقهما الله عماراً .

ولما أشرق نور الإيمان بمكة المكرمة ، وبُعث محمد بن عبد الله برسالة الإسلام سارعت هذه الأسرة إلى الدخول في هذا الدين ، فكانت من السابقين إلى الإسلام ويوم أن ذهب عمار إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه ليقابل الرسول ﷺ ويسمع منه ، وينطق بالشهادتين بين يديه وجد على الباب صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه فلقد أسلما في يوم واحد .

وشأن هذه الأسرة الفقيرة كغيرها من المستضعفين لاقت نصيبها من العذاب والأذى في سبيل الله ، فما أن علمت قريش وبنو مخزوم بإسلامها حتى بدأوا في تعذيبها ، عساها أن تعود إلى ما كانت عليه ، ولكن هيهات فأنى لمن وجد الحق أن يعود للباطل مرة أخرى ، وأنى لمن خرج من النار أن يعود لها ثانية .

ويشتد العذاب على هذه الأسرة الضعيفة ، ويُخرج بها إلى الصحراء الحامية ، وتكوى بالحديد والنار ، ويُمنع عنها الماء والطعام وهي ثابتة على الحق لا تتزحزح عنه قيد أنملة ويمر الرسول ﷺ بهم وهم يعذبون ولا يملك لهم دفعاً للأذى فيرق لحالهم ويبشرهم قائلاً : « **صبرا آل ياسر ـ موعدكم الجنة** » .

وكان العذاب يشتد والصبر أيضاً حتى عجب المشركون واغتاظ أخرون ، ودفع الغيظ أبا جهل أن يطعن بحربته سمية أم عمار رضي الله عنها في قلبها فكانت أول شهيدة في الإسلام ، وحسبها هذا الشرف ، وهذه الأولية .

وأما ياسر رضي الله عنه فقد مات تحت وطأة [1] التعذيب ، فلم تتحمل شيخوخته ألوان العذاب ، فمضى إلى ربه راضياً مرضياً يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . ولم يبق من هذه الأسرة الكريمة إلا عمار رضي الله عنه .

***

مات والد عمار ياسر بن عامر ، وماتت أمه سمية بنت خياط ، كلاهما حاز فضل الشهادة وقبلها نال البشرى بدخول الجنة ، وبقي عمار وحيداً يكال له العذاب .

اشتد العذاب على عمار رضي الله عنه أكثر وأكثر ، فكانوا يجيعونه ويعطشونه ، ويحرقونه بالنار حتى يغيب عن الوعي ، ولا يدري ما يقول ، ويمر به الرسول ﷺ ويقول : « **يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت برداً وسلاماً على إبراهيم** » .

وتتنوع أساليب تعذيب عمار وتتعدد ، حتى أنهم كانوا يغطونه [2] في الماء حتى يشرف على الغرق فيخرجونه وهو غائب عن الوعي ، فيقولون له : اذكر ألهتنا بخير فيردد خلفهم ما يملونه عليه وهو لا يعي ما يقول ، ولا يدري ما يتلفظ به لسانه ، ويقولون له أيضاً : اللات والعزى ألهتك من دون الله ؟ فيقول : نعم .

وذات يوم أقبل عمار رضي الله عنه على رسول الله ﷺ حزيناً باكيا يدلك عينيه ، فسأله رسول الله ﷺ : ما لك يا عمار ، وماذا وراءك ؟

---

(1) وطأة : الضغط الشديد .

(2) يغطونه : يغمسونه .

فقال : شر يا رسول الله فقال ﷺ : وما ذاك ، أخذك الكفار فغطوك في الماء ، فقلت كذا وكذا . فقال عمار رضي الله عنه : نعم يا رسول الله . فقد عذبوني عذابا لا يحتمل ووالله ما تركوني حتى نلت منك ، وذكرت ألهتهم بخير .

وسأل رسول الله ﷺ : وكيف تجد قلبك؟ فأجاب عمار : مطمئن بالإيمان . فقال رسول الله ﷺ : فإن عادوا فعد .

ولفضل عمار رضي الله عنه ومنزلته نزل في حقه قول الله تعالى ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النحل : 106] .

* * *

وتمضي الشهور والسنون ، ويأذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة ، ويكون عمار رضي الله عنه من أوائل المهاجرين مع بلال بن رباح ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ، ويهاجر بعد ذلك رسول الله ﷺ ، ويصل قباء ويؤسس فيها مسجداً ، ويبني عمار رضي الله عنه هذا المسجد ، ويكون بذلك أول من بني مسجداً في الإسلام ، ويكفيه ذلك فضلاً وشرفاً وفخراً وفي حق هذا المسجد نزل قول الله تعالى ﴿ **لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** ﴾ [التوبة : 108] .

وفي أثناء بناء المسجد النبوي كان الصحابة ينشدون

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب[1] فيها قائماً وقاعداً

ومن يُرى عن الغبار حائداً[2]

فاخذ عمار رضي الله عنه يردد الأنشودة في ناحية من النواحي بصوت عال ؛ ليجدد نشاطه ، ويلهب حماسه ، فسمعه أحد الصحابة وظن أنه يعرّض به ، فأغلظ له في القول ، وقال له : قد سمعت ما تقول منذ اليوم يابن سمية ، والله إني لأراني

(1) يدأب : يجد ويداوم .
(2) حائداً : مائلاً ومتبعداً .

سأعرض هذه العصا لأنفك ، وكانت في يده عصا ، فغضب رسول الله ﷺ لما علم بذلك ، وقال : مالهم ولعمار ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار .

ومرة أخرى يدخل عمار على رسول الله ﷺ ، وقد حمّلوه من الطوب اللبن[1] ما لا يطيق . فقال : يا رسول الله قتلوني ، يحَمِّلون عليّ ما لا يحْملُون . فينفض الرسول ﷺ بيده الشريفة التراب من على وجهه وصدره وهو يبتسم ويقول له : «**ويح ابن سمية ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئة الباغية**» . وفي رواية أخرى ، « **ابشر يا عمار تقتلك الفئة الباغية**» .

قال ذلك وسمعه جمع من الصحابة ، وحفظوا عمار هذه البشرى، كما حفظها من سمعها ، ولكن من هذه الفئة الباغية ؟

***

كان لعمار رضي الله عنه المكانة العليا، والمنزلة العالية في قلب رسول الله ﷺ ،وكان إذا أراد الدخول عليه ﷺ استأذن ، فيأذن له النبي ﷺ قائلاً : ائذنوا له مرحبًا بالطيب المطيب .

وكذلك كان عمار رضي الله عنه محبّاً لرسول الله ﷺ ، ملازمًا له ، مشاركاً معه في جميع الغزوات ، من بدر إلى أحد إلى الخندق إلى آخر غزوات النبي ﷺ وفي غزوة بدر كان عمار رضي الله عنه المسلم الوحيد الذي قاتل وأبواه شهيدان .

وذات يوم أرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه أميراً على سرية ، وكان فيها عمار رضي الله عنه ، فلما اقتربت السرية من القوم هربوا وتركوا منازلهم ، إلا رجل مع أهل بيته كانوا قد أسلموا .

فدخل الرجل على عمار رضي الله عنه ليلاً ، وقال له : يا أبا اليقظان إني قد أسلمت مع أهل بيتي ، فماذا أفعل ؟ فقال له : أقم حيث أنت ، فأنت أمن . فانصرف الرجل بعد أن أخذ وعداً بالأمان .

أتى خالد بن الوليد رضي الله عنه القوم صباحاً ، فوجدهم قد هربوا في الجبال إلا هذا الرجل مع أهل بيته ، فأخذه فقال له عمار رضي الله عنه : لا سبيل لك عليه ، فإنه قد أسلم

---

(1) الطوب اللبن : الطوب النيء المصنوع من الطين .

فقال خالد : أتجير عليّ وأنا الأمير ؟ فقال عمار : نعم أجير عليك وأنت الأمير . إن الرجل قد آمن ، ولو شاء لذهب كما ذهب أصحابه . فتنازع خالد وعمار رضي الله عنهما في هذا الأمر فاغلظ خالد القول لعمار .

فلما قدما المدينة اجتمعا عند رسول الله ﷺ فشكى عمار خالداً إلى النبي ﷺ فأجاز أمان عمار رضي الله عنه ونهى بعد ذلك أن يجير أحد على الأمير ، فتنازعا مرة أخرى ، وأغلظ خالد القول لعمار ، فبكى عمار وقال : يا رسول الله ، ألا تراه ، فرفع رأسه ﷺ وقال : « **من عادى عماراً عاداه الله ، ومن أبغض عماراً أبغضه الله** » . فذهب عمار ، وتبعه خالد بن الوليد يعتذر له ، ويترضاه حتى رضى .

وبلغ من تقوى عمار رضي الله عنه وورعه ومكانته لدى رسول الله ﷺ أنه جعله قدوة يقتدى به ، ومثلاً أعلى يحتذى به ، فقال في حقه : « اقتدوا بالذين من بعدي ، أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار ، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد » .

ويمضي رسول الله ﷺ للقاء ربه ويتولى الخلافة الصديق رضي الله عنه ويبدأ خلافته بمحاربة المرتدين ، وإعادتهم مرة أخرى إلى حديقة الإسلام ، ويكون عمار بن ياسر رضي الله عنهما في الصفوف الأمامية . وفي موقعه اليمامة أثناء قتل جيش مسيلمة الكذاب ينكسر المسلمون أول الأمر ، ويكثر فيهم القتل ، وهنا تظهر شجاعة الشجعان وبطولة الأبطال ، فيقف عمار على صخرة عالية صائحاً في جموع المسلمين وإحدي أذنيه مقطوعة تتأرجح وتهتز والدماء تنزف منها على وجهه وصدره : يا معشر المسلمين ، أمن الجنة تفرون ؟ !

يا معشر المسلمين أنا عمار بن ياسر هلمّوا إليّ . ألهبت هذه الكلمات حماس الأبطال ، فحملوا على عدوهم حملة رجل واحد حتى هزموهم شر هزيمة .

وكما كان رسول الله ﷺ يعرف قدر عمار ، كان يعرفه أيضاً عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعندما كان خليفة على المسلمين بعثة واليا على الكوفة وبعث معه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وزيراً ومعلماً وكتب إلى أهلها بذلك كتاباً جاء فيه : « **أما بعد فإني قد بعثت إليكم عماراً أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من نجباء**

أصحاب محمد ﷺ فاقتدوا بهما » وهذه الولاية لم تزده إلا تواضعاً ، فما كان لرجل صحب رسول الله ﷺ أن يتكبر على اخوانه وإن كان والياً ، وإن كانوا مرؤسين . بل إنه ذات يوم وهو أمير الكوفة كان يشترى حاجة أو طعاماً من السوق ، فربطه بحبل وحمله على ظهره وسار به نحو بيته .

فقابله رجل من العامة فقال له : يا أجدع[1] الأذن . يقصد من ذلك تعييره بأذنه التي قطعت في حرب اليمامة فما كان جواب عمار إلا ابتسامة على شفتيه مع قوله : خير أذنيّ سببت ، ولقد أصبت بها يوم اليمامة في سبيل الله .

وتمضي الأيام والسنوات ، وتمضي معها خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ويتولى الخلافة بعدهما على بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويحدث الخلاف بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وفي أثناء ذلك تتحقق نبؤة النبي ﷺ باستشهاد عمار بن ياسر رضي الله عنه على يد الفئة الباغية .

* * *

حدث الخلاف بين على ومعاوية بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقد كان معاوية رضي الله عنه يطالب بالقَصَاص[2] من قَتَلة عثمان ومعه أهل الشام ، ويظنون أنهم على الحق . أما على بن أبي طالب رضي الله عنه فقد رأى أن يؤخر هذا الأمر ، حتى تستقر الأمور وتهدأ الأوضاع وبعد ذلك يكون القصاص ، ومعه أهل المدينة وغيرها ، ويظنون أنهم على الحق ، وبين هذين الفريقين من أهل الحق فريق ثالث لا يريد للإسلام أن يستمر أو يستقر ، فبذر بذور الفتنة ، وزرع الشقاق بين أهل الحق من الفريقين ، وانقسم المسلمون إلى ثلاث فرق : فرقة رأت أن الحق مع على بن أبي طالب رضي الله عنه فانضمت إليه ، وفرقة رأت أن الحق مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فانضمت إليه ، وفرقة اختارت التوقف ، ولم تنضم لأي الفريقين .

أما عمار بن ياسر رضي الله عنهما فقد رأى أن الحق مع على رضي الله عنه فانضم إليه وشهد معه موقعة الجمل وأبلى فيها بلاءاً حسناً رغم شيخوخته .

---

(1) أجدع الأذن : مقطوع الأذن .

(2) القَصَاص : الثأر وتوقيع العقوبة على الجاني .

وجاء يوم صفّين وهو معركة بين علي ومعاوية ، وكان عمار بجوار علي يقاتل الفئة الباغية رغم أن عمره قد بلغ الثالثة والتسعين .

وينتظر فريق من الصحابة أي الفئتين تقتل عماراً فيظهر المصيب من المخطئ ويصول عمار ويجول في المعركة وهو يقول : والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفَات [1] هَجَر ـ نخل في هذا المكان المسمى هَجَر ـ لعلمت إنّا على الحق ، وهم على الباطل ، وكان رضي الله عنه لا يقاتل في ناحية ولا واد من الأودية إلا وأصحاب النبي ﷺ يتبعونه كأنه عَلَمٌ [2] لهم بل إنه قال لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص : يا هاشم تفر من الجنة ! تقدم فإن الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت في أطراف الأسنة ، وقد فتحت الجنة أبوابها ، وتزينت الحور العين . اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه .

كان عمار يقاتل ويجول بخاطرة قول الرسول ﷺ له : تقتلك الفئة الباغية . فلا يزيده هذا إلا شجاعة وطلباً للشهادة ، حتى إذا غافله رجلان طعنه أحدهما وأجهز عليه الأخر . فلما قُتل ظهر للناس من هي الفئة الباغية ، بل إن خزيمة بن ثابت الصحابي الجليل رضي الله عنه قال : الآن ظهرت لي الضلالة من الهدى .

ثم انضم إلى جيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه كغيره من الذين كانوا ينتظرون مقتل عمار رضي الله عنه وأقبل القاتلان إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه يختصمان فيه كل منهما يدعي قتله أملاً في مكافأة صورتها لهما نفسيهما ، ولا يدريان أن علياً وعماراً يقاتلان وهما يظنان أنهما على حق ، وأن معاوية وعَمْرًا يقاتلان وهما يظنان أنهما على حق وأن المصيب من الفريقين له أجران ، وللمخطئ منهما أجر واحد .

اختصم الرجلان أمام عمرو بن العاص رضي الله عنه فبكى وهو يقول : والله إن يختصمان إلا في النار . والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة .

وصعدت روح البطل إلى بارئها لتنعم بالجنة التي اشتاقت إليه ، وتهيأت لاستقباله الحور العين جزاء ما لاقى وصبر وكافح وجاهد محتسباً الأجر والثواب عند الله تعالى .

---

(1) سَعَفَات : أوراق جريد النخيل .

(2) عَلَم : علامة وأثر ودليل .

*** من فضائل عمار بن ياسر رضي الله عنهما**

(1) عن عائشة -رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله ﷺ : « **ما خُيِّر عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما** » رواه الترمذي وصححه الألباني .

(2) قال رسول الله ﷺ : « **لقد ملئ عمار إيمانًا من قدمه إلى مشاشه** » رواه النسائي وصححه الألباني .

يعني ملأه الإيمان من قمه رأسه إلى أسفل قدميه حتى وصل إلى أصول عظامه .

(3) عندما مات حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، أوصي قائلاً : عليكم بابن سمية ، فإنه لن يفارق الحق حتى يموت .

* * *